يحكى أن

٦

ليست المسألة بالشطارة

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مسبق من دار المكتبي

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

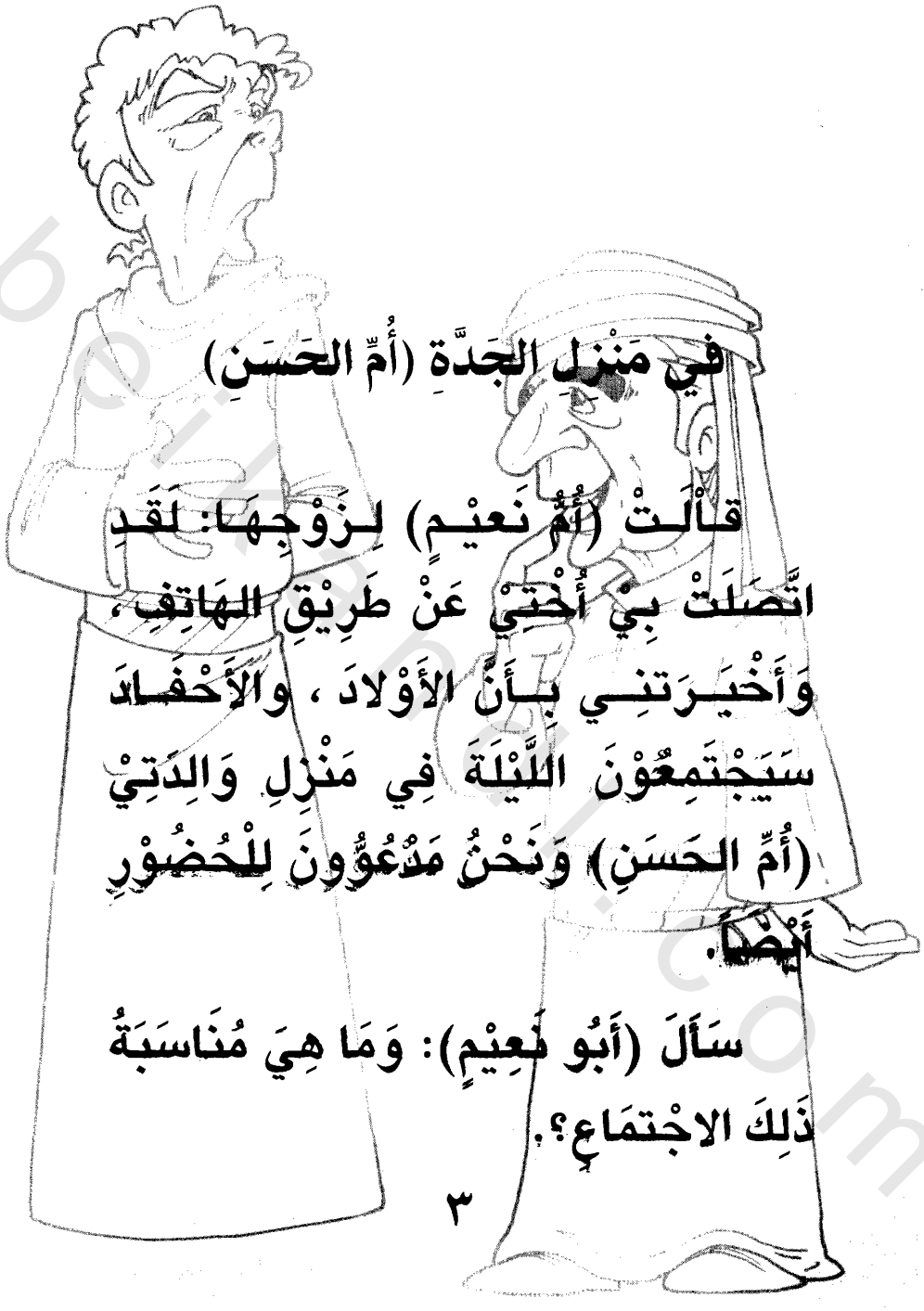

فِي مَنْزِلِ الجَدَّةِ (أُمِّ الحَسَنِ)

قَالَتْ (أُمُّ نَعِيمٍ) لِزَوْجِهَا: لَقَدِ اتَّصَلَتْ بِيْ أُخْتِيْ عَنْ طَرِيْقِ الهَاتِفِ، وَأَخْبَرَتْنِي بِأَنَّ الأَوْلادَ ، وَالأَحْفَادَ سَيَجْتَمِعُوْنَ اللَّيْلَةَ فِي مَنْزِلِ وَالِدَتِيْ (أُمِّ الحَسَنِ) وَنَحْنُ مَدْعُوُّونَ لِلْحُضُوْرِ أَيْضاً.

سَأَلَ (أَبُو نَعِيْمٍ): وَمَا هِيَ مُنَاسَبَةُ ذَلِكَ الاجْتِمَاعِ؟.

ابْتَسَمَتِ الزَّوْجَةُ ، وَقَالَتْ: إِنَّ وَالِدَتِيْ قَدْ أَحَبَّتْ أَنْ نَجْتَمِعَ جَمِيْعَاً عِنْدَها ، وَذَلِكَ: لأَنَّ ابْنَةَ أُخْتِيْ وَضَعَتْ مَوْلُوداً جَدِيْداً ، وَقَدْ أَصْبَحَ عَدَدُ الأَوْلاَدِ ، وَالأَحْفَادِ مِئَتَيْنِ!!!.

وَتَابَعَتِ الزَّوْجَةُ قَائِلَةً: وَإِذَا عَاشَتْ إِلَى أَنْ يَكْتَمِلَ عَدَدُهُمْ الثَّلاثَمِئَةِ؛ فَسَنُقِيْمُ حَفْلاً كَبِيْراً!!.

وَقُبَيْلَ الغُرُوبِ رَكِبَ أَفْرَادُ عَائِلَةِ أَبِي نَعِيْمٍ فِي السَّيَّارَةِ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى مَنْزِلِ الجَدَّةِ (أُمِّ الحَسَنِ) ، بَيْنَمَا كَانَ الأَوْلاَدُ فَرِحِيْنَ بِذَلِكَ ، فَقَدْ كَانُوْا

يَعْلَمُوْنَ أَنَّ جَدَّتَهُمْ سَتَحْكِي لَهُمْ بَعْضَ الحِكَايَاتِ المُفِيْدَةِ الهَادِفَةِ.

وَلَمَّا اجْتَمَعَ شَمْلُ العَائِلاتِ التَّابِعَةِ لِأُمِّ الحَسَنِ؛ حَيَّتْهُمْ بِتَحِيَّةِ السَّلامِ، وَتَمَنَّتْ لَهُمْ لَيْلَةً هَادِئَةً، وذكرَتْ لَهُمْ سَبَبَ هَذَا الاجْتِمَاعِ، ثُمَّ قَالَتْ: كَمْ أَنَا سَعِيْدَةٌ اليَوْمَ، وَقَدْ بلغَ عَدَدُ أَفْرَادِ ذُرِّيَّتِي المِئَتَيْنِ، وَأَحْمَدُ اللهَ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ صَالِحُوْنَ، وَمُتَعَلِّمونَ، وَعَهْداً إِنَا عِشْتُ حَتَّى يَبْلُغُوا الثَّلاثمِئَةِ فَسَأُقِيْمُ لَكُمْ حَفْلاً كَبِيْراً؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى!.

ثُـمَّ دَعَتْهُـمْ إِلَـى تَنَـاوُلِ الطَّعَـامِ ، وَالشَّرَابِ ، وَقَدْ كَانَ السُّرُوْرُ وَالفَرَحُ بَادِيَانَ عَلى الوُجُوْهِ.. ، إِلا أَنَّ (نِعْمَةَ اللهِ) كَانَ يَبْدُو عَلَيْهِ الوُجُوْمُ!.

فَسَأَلَتْهُ (أُمُّ نَعِيْمٍ): مَالَكَ يَا نِعْمَةُ! لا تَبْدُو فَرِحاً كَالْجَمِيْعِ؟!.

أَجَابَ: لَقَدْ وَعَدْتُمُونَا؛ وَنَحْنُ فِي الطَّرِيْقِ إِلَى هُنَا بِأَنْ نَسْتَمِعَ إِلَى جَدَّتِي ، وَهِيَ تَرْوِي لَنَا وَاحِدَةً مِنْ حِكَايَاتِهَا المُفِيْدَةِ ، وَهَا نَحْنُ نُجَهِّز لِلرَّحِيْلِ ، وَلَمْ تَرْوِ لَنَا الجَدَّةُ وَلا حِكَايَةً وَاحِدَةً!!.

ابْتَسَمَتِ الجدَّةُ لِقَوْلِهِ ، ونَادَتْهُ؛ لِيَجْلِسْ إِلَى جِوَارِهَا ، وَرَاحَتْ تَحْكِي لَهُمْ هَذِهِ الحِكَايَةَ الهَادِفَةَ المُفِيْدَةَ.

أَجَلْ! لَقَدْ جَمَعَتْهُمُ الظُّرُوْفُ!!

كَانَ هُنَالِكَ أَرْبَعَةُ أَشْخَاصٍ جَمَعَتْهُمْ ظُرُوْفُ الغُرْبَةِ فِي طَرِيْقٍ وَاحِدٍ ، أَحَدُهُمْ زَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا ، وَالثَّانِيْ تَاجِرٌ ابْنُ تَاجِرٍ ، والثَّالِثُ وَجِيْهٌ ، وَالرَابِعُ فَلاحٌ ابْنُ فلاحٍ يَحْرُثُ الأَرْضَ.

وَكَانُوا جَمِيْعَاً فِي سَفَرٍ غَرِيْبٍ ، وَلا يَمْلِكُوْنَ شَيْئَاً إِلا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ مَلابِسَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُوْنَ فِي حَالَةٍ

مِنَ الهَمِّ ، وَالغَمِّ ، وَكُلٌّ مِنْهُمُ يُفَكِّرُ فِي مَاضِيْهِ ، وَحَاضِرِهِ ، وَمُسْتَقْبَلِهِ؛ قَالَ الزَّاهِدُ: الدُّنْيَا كُلُّهَا قَضَاءٌ ، وقَدَرٌ ، وَخَيْرٌ لِلإنْسَانِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى القَضَاءِ ، وَالقَدَرِ ، ويَنْتَظِرَ نَصِيْبَهُ ، وَيُسَلِّمَ أَمْرَهُ لِخَالِقِهِ.

وَقَالَ ابْنُ التَّاجِرِ: بَلِ المَسْأَلَةُ بالحِيْلَةِ ، والشَّطَارَةِ.

وَقَالَ الوَجِيْهِ: بَلِ الوَجَاهَةُ ، وَالجَمَالُ هُمَا الطَّرِيْقَانِ المُوْصِلانِ إِلَى الرِّزْقِ ، وَالخَيْرِ ، وَالسَّعَادَةِ ، وَالرَّفَاهِ.

وَقَالَ ابْنُ الفَلاحِ: بَلْ إِنَّ حَرْثَ

الأَرْضِ ، وَزَرْعَهَا ، وَالعِنَايَةَ بِالأَشْجَارِ هُوَ مَصْدَرُ الرِّزْقِ الحَلالِ.

وَلَمَّا سَارُوا مَسَافَةً طَوِيْلَةً ، شَارَفُوا عَلَى مَدِيْنَةٍ جَمِيْلَةٍ.

فَجَلَسُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِهِم ، فَلَيْسَ مَعَهُمْ طَعَامٌ ، وَلا شَرَابٌ... ، فَمَاذَا يَفْعَلُوْنَ مِنْ أَجْلِ الحُصُوْلِ عَلَى الزَّادِ الَّذِيْ يُمَكِّنُهُمْ مِنْ مُوَاصَلَةِ الطَّرِيْقِ.

إِذَاً: فَلْنُجَرِّبْ!!

فَقَالُوا لِلْفَلاحِ: اذْهَبْ ، وَاكْتَسِبْ لَنَا طَعَامَاً لِيوْمِنَا هَذَا!.

فَمَشَى الفَلاحُ نَاحِيَةَ المَدِيْنَةِ ، فَلَمَّا دَخَلَهَا سَأَلَ النَّاسَ عَنْ عَمَلٍ إِذَا عَمِلَهُ الإِنْسَانُ؛ يَكتَسِبُ فِيْهِ طَعَامَ أَرْبَعَةِ أَفْرَادٍ؟.

فَقَالُوا لَهُ: الأَرْضُ هُنَا مَلآنَةٌ بِالأَعْشَابِ الضَّارَّةِ ، وَالنَّاسُ كُسَالَى ، فَإِذَا جَمَعْتَ الأَعْشَابَ الضَّارَّةَ مِنَ الحَدَائِقِ؛ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنَالَ دِرْهَماً فَتَشْتَرِيَ بِهِ طَعَاماً لأَرْبَعَةِ أَفْرَادٍ.

فَفَعَلَ الفَلاحُ ذَلِكَ ، وكَتَبَ عَلَى بَابِ المَدِيْنَةِ: (عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ ، أَتْعَبَ الرَّجُلُ فِيْهِ جِسْمَهُ فَيِمَتُهُ دِرْهَمٌ). ثُمَّ

عَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِالطَّعَامِ ، فَأَكَلُوا.

وَفِي صَبِيْحَةِ اليَوْمِ الثَّانِي قَالُوا لِلْوَجِيْهِ الجَمِيْلِ: جَاءَ دَوْرك!.

فَانْطَلَقَ إِلَى المَدِيْنَةِ ، وَفِي الطَّرِيْقِ فَكَّر فِي نَفْسِهِ ، وَقَالَ: أَنَا لا أُحْسِنُ أَيَّ عَمَلٍ ، وَإِذَا دَخَلْتُ المَدِيْنَةَ فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!.

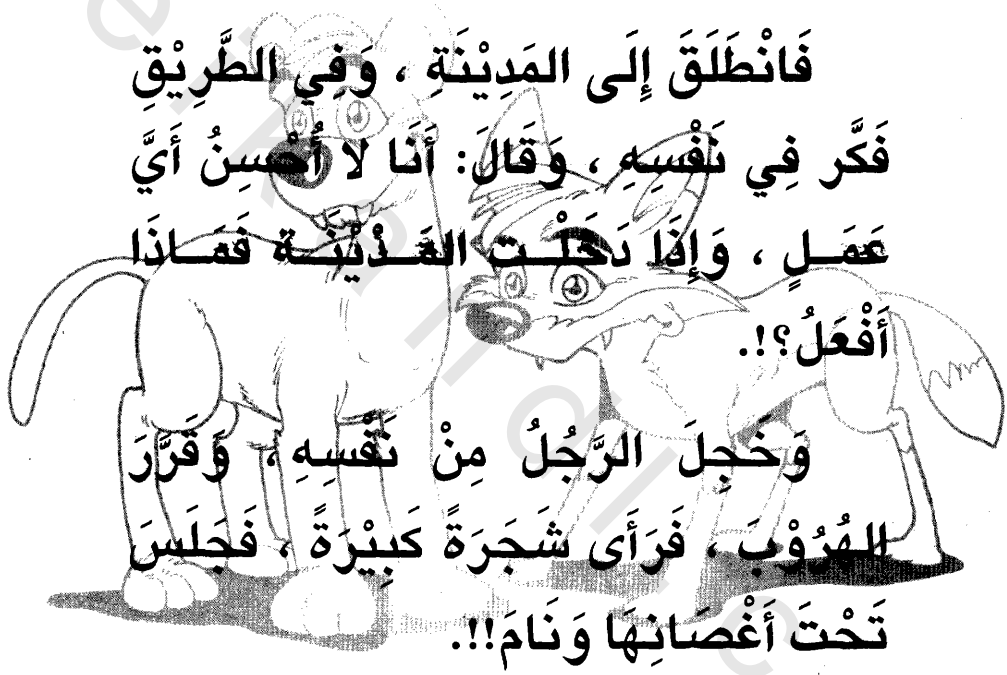

وَخَجِلَ الرَّجُلُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَقَرَّرَ الهُرُوْبَ ، فَرَأَى شَجَرَةً كَبِيْرَةً ، فَجَلَسَ تَحْتَ أَغْصَانِهَا وَنَامَ!!.

وَفِي ذَلِكَ الأَثْنَاءِ ، مَرَّ بِهِ أَحَدُ الرَّسَّامِيْنَ الكِبَار ، فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ

الجَمِيْل ، وَالوَسِيْم ، وَهُوَ نَائِمٌ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَأَخْرَجَ أَدَوَاتِ الرَّسْمِ ، وَرَسَمَ لَهُ لَوْحَةً رَائِعَةً ، ثُمَّ أَيْقَظَهُ مِنْ النَّوْمِ وَأَعْطَاهُ خَمْسَمِئَةِ دِرْهَمِ!.

فَكَتَبَ عَلَى بَابِ المَدِيْنَةِ: (جَمالُ يَوْمٍ وَاحِدٍ يُسَاوِي خَمْسَمِئَةِ دِرْهَمِ). ثُمَّ اشْتَرَى طَعَامًا ، وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، وَسَلَّمَهُمْ بَقِيَّةَ الدَّرَاهِمِ.

.. وَفِي صَبِيْحَةِ اليَوْمِ الثَّالِثِ انْطَلَقَ ابْنُ التَّاجِرِ بِاتِّجَاهِ المَدِيْنَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى المِيْنَاءِ عَلَى السَّاحِلِ؛ رَأَى سَفِيْنَةً فِيهَا بِضَاعَةٌ كَثِيْرَةٌ ، وَرَأَى

جَمَاعَةً مِنَ التُّجَّارِ جَالِسِيْنَ يَتَشاوَرُوْنَ فِي شِرَاءِ البِضَاعَةِ. وَسَمِعَهُمْ يَقُوْلُوْنَ: ارْجِعُوا بِنَا اليَوْمَ. فَعَلَيْنَا أَلا نَشْتَرِي شَيْئَاً مِنَ البِضَاعَةِ حَتَّى تَكْسُدَ، وَعِنْدَئِذٍ سَيُضْطَرُّ أَصْحَابُهَا أَنْ يُرَخِّصُوا الثَّمَنَ!!.

فَأَسْرَعَ ابْنُ التَّاجِرِ إِلَى أَصْحَابِ المَرْكَبِ وَقَالَ لَهُمْ: أُرِيْدُ شِرَاءَ البِضَاعَةِ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَوَافَقُوا، وَبِسُرْعَةٍ رَاحَ الحَمَّالُوْنَ يُنْزِلُوْنَ الْبِضَاعَةَ.

فَلَمَّا سَمِعَ التُّجَّارُ هَذِهِ الحَرَكَةَ، وَرَأَوا البِضَاعَةَ وَهِيَ تَنْزِلُ، هَرِعُوا إِلَى

ابْنِ التَّاجِرِ وَدَفَعُوا لَهُ ثَمَنَ البِضَاعَة مَعَ رِبْحٍ يُعَادِلُ الثَّمَنَ! فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ المَدِيْنَةِ: (شَطَارَةُ يَوْمٍ وَاحِدٍ تُسَاوِي مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ). وَعَادَ إِلَى رِفَاقِهِ بِالطَّعَامِ وَالمَالِ الوَفِيْرِ.

وَفِي صَبَاحِ اليَوْمِ الرَّابِعِ انْطَلَقَ الزَّاهِدُ بِاتِّجَاهِ المَدِيْنَةِ. وَأَمَامَ العِمَارَاتِ الجَمِيْلَةِ فِيْهَا أَطْرَقَ الزَّاهِدُ رَأْسَهُ يُفَكِّرُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا ، وَفِي تِلْكَ اللَّحَظَاتِ مَرَّتْ جَنَازَةُ حَاكِمِ تِلْكَ المَدِيْنَةِ ، وَكَانَ النَّاسُ فِي حُزْنٍ وَبُكَاءٍ. فَرَفَعَ الزَّاهِدُ رَأْسَهُ ، وَنَظَرَ إِلَى الجَنَازَةِ

وَإِلَى النَّاسِ ، فَشَتَمَهُ المُقَرَّبُونَ مِنَ المَلِكِ ، وَطَرَدُوْهُ.

وَلمَّا عَادُوا مِنْ دَفْنِ المَلِكِ ، أَلْقَوُا القَبْضَ عَلَى الزَّاهِدِ ، وَوَضَعُوْهُ فِي غَيَاهِبِ السِّجْنِ.

وَفِي اليَوْمِ التَّالِي اجْتَمَعَ كِبَارُ أَهْلِ المَدِيْنَةِ لاخْتِيَارِ حَاكِمٍ جَدِيْدٍ لِبَلَدِهِمْ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: لَعَلَّ وَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الغَرِيْبِ سِرًّا! فَجِيْءَ بِهِ. فَقَصَّ عَلَيْهِمْ قِصَّتَهُ ، حَيْثُ قَالَ: لَقَدْ زَهِدْتُ فِي الدُّنْيَا بَعْدَمَا كُنْتُ حَاكِماً عَلى بَلَدٍ مِنَ البِلادِ.

فَقَالُوا: نَحْنُ نُرِيْدُ هُنَا حَاكِمَاً زَاهِداً

عَـادِلاً ، فَـاتَّفَقُـوا عَلـى تَعْيِيْنِـهِ مَلِكَـاً عَلَيْهِمْ ، وَأَرْكَبُوْهُ عَلَى فِيْلٍ أَبْيَضَ ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَابِ المَدِيْنَةِ ، وَقَرَأَ مَـا كَتَبَـه رِفَـاقُـهُ؛ كَتَـبَ تَحْتَهَـا: (إِنَّ المَسْـأَلَـة لَيْسَـتْ الحِيْلَـة وِالشَّطَـارَة وَالجَمَال ، بَلْ كُلُّ مَا يُصِيْبُ الإِنْسَانَ إِنَّمَا هُوَ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ). ثُمَّ أَمَرَ فَأُحْضِرَ رِفَاقُهُ ، وَعَيَّنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي العَمَلِ الَّذي يُنَاسِبُهُ ، وَيَنْفَعُ البِلاَدَ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِيْنَ